المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمان الأغواط

مدخل الى علوم لتربية السنة: اولى. قسم : فيزياء و رياضيات.

المحور الثالث: المحاضرة الحادي عشر :ماي/2023

المنظومة التربوية الجزائرية:

لتسهيل فهم و تطور التربية و مؤسساتها في الجزائر يمكن تقسيم موضوعنا إلى ثلاثة مراحل متباينة، وذلك للتطورات الكبيرة في الميدان السياسي، و أثرها على الازدهار التربوي في الجزائر. و يمكن حصر هذه المراحل فيما يلي:

أ-المؤسسات التربوية ما قبل الاستعمار الفرنسي:

منح المجتمع الجزائري كبقية الشعوب-آنذاك-أهمية كبيرة للتربية والتعليم، تطبيقا لتعاليم الدين الإسلامي الذي يركز على الجانب العلمي، إذ يأمر الله سبحانه و تعالى المسلمين بالقراءة، تنويها من الله تعالى بأهميتها لأنها عماد العلم و المعرفة و الوسيلة للاستزادة و الإحاطة بالمعارف، فأينما كان الإنسان فإنه يستطيع القراءة. . (Chitour chemseddine, 2002, p. 46)

فالتعليم كان قبل كل شيء لرفع الأمية واستجابة لدعوة الدين في طلب العلم و معرفة الفروض وليس لأغراض أدبية أو اجتماعية، و قد ذكر السيد شيلر الذي عاش في الجزائر أكثر من خمسة عشر سنة أن في للجزائر مدارس خاصة لتعليم البنات -حسب ما قيل له-و أن النساء هن اللاتي يدرن هذه المدارس. (أبو القاسم سعد الله، 1991، ص324)

كما أن العلم و التسامح بلغ ذروته في تلك المرحلة ففي مدينة بجاية مثلا، و التي كانت تلقب "بمكة الصغيرة"(و هي تسمية ما تزال متداولة على لسان سكان مدينة بجاية للتباهي بمدينتهم السابقة) لانعدام الانحراف و السرقة، مما جعل الحكام لا يعينون قضاة للحكم بين الناس بعد أن أصبح منصبا لا يقوم فيه صاحبه بأي عمل، كما لعبت المكتبات دورا في نشر المعرفة، فهي كانت متوفرة في أغلب مؤسسات التعليم، فقد اشترى خير الدين 3000مخطوط من مدينة ساتيفا سنة 1515لمكتبة قسنطينة. و قد كان التعليم منتشرا في كل أرجاء الجزائر قبل الاحتلال، وقد قال ("شاو " Shaw 1724) أن الجزائر كانت تزخر بمئة جامع و ثلاث مدارس و عدد لا يحصى من الكتاتيب، تستقبل كلها مئات الطلاب من مختلف المستويات، وفق نظام داخلي(إطعام، إيواء) (تركي رابح،1981ص91)

لم تكن هنالك وزارات مختصة بالتعليم خلال هذه المرحلة، فالتعليم كان مسؤولية جماعية يتعاون الكل لإنشاء المساجد والكتاتيب، و من أهم مؤسسات هذه المرحلة:

1-المساجد :

تكون كبيرة نسبيا، لذلك غالبا ما تكون في المدن و في أماكن التجمعات السكنية الكبيرة و المتوسطة، حيث يتفنن البناؤون في بنائها و زخرفتها، و يطلق عليها اسم "جوامع" في الجزائر العاصمة. فقد كان لكل مسجد أوقاف يهديها المتبرعون للمساجد، ليتعلم الفقراء مجانا و تقدم لهم مساعدات، حتى أن بعض المساجد تمتلك إمكانيات لإرسال مجموعة من الفقراء لأداء مناسك الحج، فدور المساجد كان فعالا يؤطره مجموعة من الأساتذة الأكفاء، كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلم و ا لمعرفة، فمئات المساجد كانت تلقن العلوم و اللغة للطلاب. (تركي رابح، مرجع نفسه،ص35)

2- **الكتاتيب :**

يطلق عليها اسم "المسيد،" و هي غالبا ما تحتوي على حجرة أو حجرتين، و هدفها الأساسي تحفيظ القرآن الكريم، و لصغر حجمها فهي تنتشر في القرى و المناطق النائية. و قد دلت الإحصائيات، و الأرقام الموثقة على نشاط هذه المؤسسات ففي مدينة قسنطينة فقط كان يوجد بها عام 1837أي قبل احتلالها، 79 كتابا و مدرسة قرآنية يتردد عليها حوالي 1530طفلا و .طفلة. (.بوثلجة غياث،1993،ص28)

3- الزوايا :

انتشرت خاصة في العهد العثماني نتيجة للتخلف و استبداد الحكام، و ظهور ظاهرة التصوف، فإذا اشتهر أحد الناس بالورع و التقوى وشيء من العلم أسس له مكان لاستقبال الزوار و الطلاب، فيغدق عليه المحسنون بعطاءاتهم و هكذا يشتهر المركز بزاوية "اسم صاحبها" حتى بعد موته، و للزاوية مهمات عدة منها قراءة القرآن، الندوات العلمية، و الصلاة، و تقوم مقام مؤسسات الدراسة الثانوية، ينتقل إليها طلاب العلم والفقه.

4- **الرابطات :**

و تشبه الزوايا في وظائفها الاجتماعية و الثقافية، إلا أنها تكون قريبة من مواقع الأعداء، ويقوم المرابطون بها بدورهم الجهادي إلى جانب المهام الأخرى من تعلم و تعليم.

5- المدارس:

لم تبدأ المدارس كما نعرفها اليوم و المختصة بالتعليم في مراحله المختلفة، كما أن هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد عدد المدارس بدقة، و ذلك نتيجة لعدم استقلالها كمؤسسات مستقلة تحت اسم مدرسة، بل كانت إما كُتابا أو تابعة لمسجد أو زاوية. و لم تتكون خلال هذه الحقبة من الزمن جامعة في الجزائر، كما هو الحال بالنسبة للأزهر بمصر و الزيتونة بتونس، لقد كان الجامع الكبير للعاصمة نواة للجامعة الجزائرية بمركزه و كثرة حلقاته الدراسية. و لم يكن التعليم في هذه الحقبة من الزمن ينتهي بشهادات، وانما كان يختم بإجازة شفوية من عند الأستاذ و تعبير صريح عن رضاه.

ب- المؤسسات التربوية في عهد الاستعمار الفرنسي:

إن تفكير فرنسا لاستعمار الجزائر هو نهب كنوزها، كما يؤكده بيار بيون Pierre Pean" إذ يقول: "الجميع يعرف بأن سبب احتلال مدينة الجزائر هو الاستيلاء على كنوزها التي تعتبر أهم أسباب الحملة ضد مدينة الجزائر و الحصول على كنوز الجزائر أهم بكثير من الانتقام من ضربة المروحة. (Pierre Pean, 2005)

و يذكر الكاتب الفرنسي ماسيل أقريتو (Marcel Agreto)أن الثقافة كانت منتشرة ومزدهرة قبل الاستدمار لأن الميل للعلم والعرفة كان متأصلا في النفوس وكان في الجزائر عدد كبير من رجال الأدب الذين يتمتعون بقسط وافر من الاعتبار والاحترام لدى الجميع. ويذكر الرحالة الألماني استرهازي أن عدد الجزائريون الذين يحسنون القراءة و الكتابة، يفوق عدد الفرنسيين، و أن الغالبية من الجنود الذين شاركوا في الحملة الفرنسية ضد الجزائر ينتمون إلى طبقة جاهلة تمام الجهل. (تركي رابح، مرجع سابق،91- 126)

و قد قيل على لسان الفرنسيين أنفسهم أنه يجب علينا أن نعترف احتراما للحقيقة أن المسلمين في إفريقيا الشمالية رغم انخفاض مستوى العلوم فيها وقلة الكتب كانوا يولون مسائل التربية والتعليم عناية لها قيمتها، أما إيفون توران فقد ذكرت في كتابها "المواجهة الثقافية في الجزائر المستعمرة" عن دوماس قوله: "إن التعليم الابتدائي كان كثير الانتشار بالجزائر أكثر مما نعتقد عادة، أن علاقتنا بالأهالي في المقاطعات الثلاث أثبتت أن متوسط الأفراد من الذكور يحسنون القراءة و الكتابة." (الطاهر زرهوني، 1994،ص14)

و السبب في ازدهار التعليم بمؤسساته المختلفة قبل دخول المستدمر الفرنسي كان نتيجة لضخامة الأوقاف المخصصة له، وذلك باعتراف الفرنسيين أنفسهم، و من أولى الخطوات التي قام بها الاستعمار

الفرنسي الاستيلاء على أملاك الأوقاف التي تمول الخدمات الثقافية والدينية والاجتماعية للمسلمين، حيث أصدر كلوزال(Clauzel) الحاكم الفرنسي العسكري قرارا يوم 7ديسمبر1830- بهذا الشأن- مما أدى إلى أثر جد سلبي على نشاط التعليم الذي كان يعتمد على الأوقاف في مصاريفه، كما استشهد كثير من علماء الدين و تشتت شملهم و هاجر غالبيتهم ممن بقوا على قيد الحياة إلى المشرق العربي، و الى تونس و تركيا. كما حول المستدمر الفرنسي عدد من المساجد الكبيرة إلى كنائس للمسحيين مثلما هو الحال بالنسبة لجامع كتشاوة بالعاصمة، و المدرسة و الزاوية التابعة للجامع الكبير حولت إلى حمام فرنسي، و هكذا عملت فرنسا على القضاء على التعليم في الجزائر معتمدة التجهيل و التفقير بهدف الفرنسة و التنصير. لقد كانت أول مدرسة فرنسية لتعليم أبناء الأهالي الجزائريين، هي المدرسة الفرنسية الإسلامية 1836بمدينة الجزائر، ثم تلتها بعد ذلك مدارس في أهم المدن التي تخضع للسلطة الفرنسية، حتى بلغ تلاميذ هذه المدارس بعد 20سنة من الاحتلال- 1850-646 تلميذ جزائري فقط.

و تبقى الكتاتيب القرآنية و المساجد و الزوايا تستمر في دورها التعليمي، و تعتبر بمثابة الدرع الواقي من صدمات الاستعمار و من محاولاته الاستعمارية، و ارتبط اسمها باسم **جمعية العلماء المسلمين** بزعامة عبد الحميد ابن باديس، و قد عملت هذه الجمعية على بناء مدارس تابعة لها لمحاربة الجهل و الأمية في مختلف أنحاء الجزائر، رغم استفزازات المستعمر الفرنسي لها، و قد آمن ابن باديس أن العمل الأول لمقاومة الاحتلال الفرنسي هو التعليم، و العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى و مقاومة الزيف و الخرافات و محاربة الفرق الصوفية الضالة التي عاونت الاستعمار.

و قد ثابر أعضاء جمعية العلماء المسلمين للدفاع عن ثوابت الأمة و ضرورة أن يربى أبناؤنا تربية صحيحة وفق قيم و مبادئ عقيدتنا التي لا يمكن التنازل عنها، و لعل التحذير الذي نشره الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر العدد 11لسنة 1939معبر بصدق عن أهداف و مبادئ الجمعية تربويا حيث يقول منبها الحكومة "إن هذه الأمة رضيت لأبنائها سوء التغذية و لكنها لا ترضى لهم أبدا سوء التربية، وأنها صبرت مكرهة على أسباب الفقر لكنها لا تصبر أبدا على موجبات الكفر. (محمد البشير الابراهيمي،1971،ص،237)

تنبهت فرنسا إلى خطر هذه الجمعية فعطلت المدارس وزجت بالمدرسين في السجون وأعطت تعليمات بمراقبة علمائها.

ففرنسا منذ أن وطأت قدمها الجزائر(1830) عملت على القضاء على منابع الثقافة الإسلامية، فأغلقت نحو ألف مدرسة ابتدائية و ثانوية كانت تضم أكثر من 150ألف طالب، و وضعت قيودا لفتح المدارس واقتصرتها على حفظ القرآن لا غير مع عدم التعرض لتفسير آيات القرآن خصوصا الآيات التي تدعو إلى التحرر، و عدم دراسة تاريخ الجزائر وتحريم المواد العلمية و الرياضية. حتى المدارس المفتوحة للجزائريين فقد كان مضمونها يختلف عن مضمون المدارس التي كان يدرس بها الفرنسيين، فالسنة الأولى من التعليم الابتدائي(خاصة بالأهالي) يتعلم فيها الأهالي مبادئ اللغة الفرنسية، و لا يتم تسجيلهم إلا بعد تجاوزهم سن السادسة، فضلا عن ذلك كان التعليم يتسم بالتباين من منطقة إلى أخرى، و الفوارق كانت موجودة بين نسب البنين والبنات، أما أبواب مدارس الحضانة و رياض الأطفال فكانت مسدودة في وجوه الأطفال الجزائريين و لم تفتح إلا للفرنسيين. و النظام التعليمي الفرنسي المعمول به قبل الاستقلال بلغ إلى حد منع التلميذ الجزائري التلفظ في القسم أو حتى في فناء المدرسة بعبارة غير فرنسية، واجباره على حفظ التاريخ الفرنسي-و هو تاريخ غريب عنه و عن أجداده- و ذلك بقصد عزله عن محيطه الطبيعي و تشويه انتمائه التاريخي والحضاري. و تتلخص المراحل التعليمية فيما يلي:

1 - مرحلة التعليم الابتدائي:

تمتد على مدى 8سنوات_ سنتين منها فرصة للإعادة-(14-16سنة،) ويرشح التلاميذ الذين تجاوز سنهم 14سنة إلى شهادة التعليم الابتدائي. (CPE)

2- مرحلة التعليم التكميلي:

و يدوم أربع سنوات في نهايتها تجاز الدراسة بشهادة الأهلية، والتي تمكن حاملها الالتحاق بشعب دراسية كمسابقة الدخول لمدارس إعداد المعلمين.

3 - **مرحلة التعليم الثانوي :**

يدوم ثلاث سنوات وغالبا لا يصل إليه إلا القليل من الجزائريين. فقد خطط الاستدمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر

لمحو الهوية الوطنية من خلال سياسته التي دامت أكثر من نصف قرن من الزمن من خلال سياسة(التفقير و التجهيل، و الفرنسة و التنصير) .

جـ_التعليم و مؤسساته في عهد الاستقلال:

كان التعليم الابتدائي سنة 1962في حالة يرثى لها على غرار الميادين الأخرى، والجدير بالذكر أن نسبة الانتساب إليه كانت تقارب 20%من مجموع التلاميذ الذين بلغوا سن الدراسة، فقد كانت مهمة المدرسة تتلخص في تكوين ما يحتاج إليه الاستعمار من مساعدين، و قد كان أول دخول مدرسي في أكتوبر (1962) اتخذت وزارة التربية قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية بنسبة سبع ساعات في الأسبوع. و قد تم توظيف (3452)معلما للعربية و(6450) للغة الأجنبية، منهم عدد من المربين قصد سد الفراغ المدهش الذي أحدثه عمدا أكثر من 10.000معلم فرنسي غادروا الجزائر بصفة جماعية. حيث غادر صبيحة الاستقلال معظم المعلمين الفرنسيين ولم يبق منهم سنة 1962 سوى عشرات من المعلمين الجزائريين قدر عددهم 8918معلم، إضافة إلى نحو ألف معلم من أصل فرنسي، بينما كان يحتاج هذا الدخول حسب التقديرات الرسمية نحو عشرين ألف معلم على أقل تقدير. (بن سالم عبدالرحمان،2000:ص14)

و قد ورثت الجزائر قلة هياكل الاستقبال و قلة الإطارات و مشكلة سيطرة اللغة الفرنسية و انحصار التعليم على مناطق و طبقات دون أخرى، وقد عمدت السلطة الجزائرية تعديلات مختلفة منذ،1912و من الإجراءات الفورية التي اتخذتها اللجنة الوطنية -التي عقدت اجتماعها الأول في 11ديسمبر 1962- الجزأرة، ديمقراطية التعليم، التعريب، و التكوين العلمي و التكنولوجي. و استمر تطبيق مجموع الإجراءات السنة تلو الأخرى، ففي أكتوبر 1967طبق القرار القاضي بتعريب السنة الثانية الابتدائية تعريبا كاملا تدرس كل المواد المبرمجة باللغة العربية وحدها بتوقيت 23ساعة أسبوعيا.

و يمكن تلخيص النظام التربوي الجزائري في فترتين:

- ✓ الفترة الأولى:(1962-1976) و هي فترة انتقالية كان يسودها عدة نقائص، فاقتصرت على إدخال تحويلات تدريجية تمهيدا لتأسيس نظام تربوي يساير متطلبات التنمية، ومن أولويات هذه الفترة:

-تعميم التعليم بإقامة منشآت تعليمية وتوسيعها للمناطق النائية.

-التعريب التدريجي للتعليم: و الذي عرف العديد من العراقيل ففرنسا الاستدمارية قبل رحيلها تركت صراعا لبنن المعربين و المفرنسين، وبين دعاة الأمازيغية والمعربين، و السبيل الوحيد للقضاء على هذا

الصراع هو تكوين جيل يؤمن باللغة العربية و يعمل من أجل تحقيق أهداف المجتمع التي تخدم مصلحة الوطن...(مولود قاسم نايت بلقاسم،387،1992)

-أما اللغة الفرنسية فقد وضعت موضع اللغة الأجنبية التي لابد منها لأنها وسيلة تخاطب لا أكثر حسب قول الدكتور عبد القادر جغلول . (عبدالقادر جغلول،1983،ص236)

و تم تجسيد مبدأ التعريب تدريجيا، إذ تم تعريب السنة الأولى في الدخول المدرسي 63-64 و في السنة الدراسية 1964-1965 تم توحيد برامج اللغة العربي و العلوم و الرياضيات، و الأهم من هذا كله هو تعريب مادة التاريخ، و عربت السنة الثانية في أكتوبر 1966.

-جزأرة إطارات التعليم (أي إزالة آثار العناصر الدخيلة الوافدة من المجتمعات و الثقافات التي لا تمت بصلة للمجتمع الجزائري، كما يعني جزأرة نظام التعليم و مناهجه والبعد عن الاستعارة من المجتمعات الأخرى، جزأرة الإطارات غايتها الاعتماد على أبناء البلاد من أهل الاختصاص لتحقيق الكفاءة التعليمية.) و قد اصطلح لمفهوم الجزأرة لـ" يعني أن كل المضامين الدراسية جزائرية مائة بالمائة"(جزأرة أهداف التكوين، محتويات المناهج والكتب المدرسية، و لانعدام الإطارات الجزائرية، شرعت جمعية العلماء المسلمين بارسال البعثات التكوينية لتونس و المغرب و مصر، بغية تحضير إطارات ستتكفل بمسؤوليات التنمية.

- تكييف مضامين التعليم الموروثة عن النظام التعليمي الفرنسي. و قد أدت هذه التدابير إلى ارتفاع نسبة المتمدرسين الذين بلغوا سن الدراسة، إذ قفزت من 20%إبان الدخول المدرسي الأول إلى 70%في نهاية هذه المرحلة.

- ✓ *الفترة الثانية: (1976-2000)ابتدأت بصدور أمر 76-35 المؤرخ في 16أفريل76 19بتنظيم التربية و التكوين بالجزائر، و أدخلت إصلاحات على النظام لتتماشى و التحولات الاقتصادية و الاجتماعية، كما كرس الطابع الإلزامي و مجانية التعليم، و تأمينه لمدة 9سنوات، قد شرع في تعميم وتطبيق أحكام هذا الأمر ابتداء من السنة الدراسية (1980-1981) (المدرسة الأساسية).

و قد عرفت المنظومة التربوية الجزائرية خلال الموسم الدراسي(2003-2004) تعديلات تتمثل في: -تنصيب السنة الأولى من التعليم الابتدائي، (2003- 2004) و قد تم تغيير محتويات بعض الكتب لنفس السنة في(2004-2005)كالتربية الإسلامية.

- تنصيب السنة الثانية من التعليم الابتدائي ،(2004-2005)أضيفت إليها اللغة الفرنسية كلغة أجنبية أولى، استعمال الترميز العلمي والمصطلحات العلمية، استعمال الوسائل التعبيرية (العربية والفرنسية)
- تنصيب السنة الأولى من التعليم المتوسط في إطار الإصلاح التدريجي و التربوي (نظام الأربع سنوات) ابتداء من الموسم الدراسي،(2004-2005) و ظهور اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة وطنية.

- أما التعليم الثانوي فعرف تعديلات في هيكلته في سنة.(2005-2006)

-أما التعليم العالي فقد عرف تعديلات على ضوء توصيات اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية و التوجيهات المتضمنة في مخطط تطبيق الإصلاح التربوي الذي صودق عليه في مجلس الوزراء يوم (20أفريل،2002)سطرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كهدف استراتيجي لمرحلة 2004-2014 إعداد ووضع أرضية لإصلاح شامل للتعليم العاليLMD) (بحيث يمثل بنية العليم العالي المستلهمة من البنيات المعمول بها في البلدان الانجلوسكسونية، والمعممة في البلدان المصنعة، تتمثل هذه البنية حول ثلاثة أطوار للتكوين يتوج كل منها بشهادة جامعية:

- الطور الأول بكالوريا+ ثلاث سنوات، يتوج بليسانس(أكاديمية-مهنية).

- الطور الثاني بكالوريا+ خمسة سنوات، يتوج ماجستير (أكاديمية-مهنية).

- الطور الثالث بكالوريا+ ثمان سنوات، يتوج بدكتوراه.

و لا تزال المنظومة التربوية الجزائرية إلى حد الآن تجري تعديلات على نظمها التربوية قصد التحسين من المردود التربوي والرفع من مستواه.

- المشاكل التي تواجه المنظومة التربوية في الجزائر:

تعاني المنظومة التربوية من عدة مشاكل، و لا يمكن إسناد مصدر هذه المشاكل إلى طرف دون آخر، و من بين هذه المشكلات نذكر:

*ضعف المستوى الدراسي. *حصر التربية على المدرسة و غياب الأولياء عنها.

*ارتفاع نسبة التسرب المدرسي. *غياب منهجية علمية للتقويم.

*اكتظاظ الأقسام مما يعرقل السير الحسن للدرس واستيعاب التلاميذ.

*نقص دراسات علمية ميدانية قبل إجراء تعديلات معينة. *مشكلات مصدرها الأستاذ نفسه.

*مشاكل مادية و معنوية يعني منها الطرفين(معلم، متعلم).

*غموض سياسة التخطيط.

*نقص الإمكانات المادية و الوسائل البيداغوجية.

*مشكلات مصدرها التلميذ.

المرجع: **أ.د. عبدالله كمال/ د. ربوح لطيفة 2020، المنظومة التربوية الجزائرية، محاضرة مستمدة** من كتاب جماعي، المدخل الى علوم التربية، **صدر عن مخبر تعليم تكوين تعليمية** المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، **مؤسسة البناء المعرفي.**